

مصطلحات علم النفس

ومشكلة ترجمتها وتعميرها

لمحمد مظهر سعيد

أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

٣ - الفكر والتفكير

يوجد المتبع لترجمة مصطلحات هذا الموضوع الهام في علم النفس نوعاً جديداً من التخبط في المؤلفات العربية . فقد اتفق الكتاب والادباء والمؤلفون والمترجمون على اتخاذ كلمة فكر أو تفكير ترجمة لكلمتي Thought و Thinking الانكليزيتين ولكنهم تحبطوا في تحديد معنى العمليات العقلية التي يسح إن يطلق عليها كلمة تفكير ، تحبطاً يستحيل معه على الباحث ان يعرف بالقيبط حدود هذه العملية ووظيفتها والتفوارق الجوهرية التي تميزها عن غيرها من وظائف العقل . فالادباء والكتاب من ناحية اطلقوا كلمة التفكير من غير قيد او تحديد ، على كل عملية يقوم بها العقل سواء أكانت مجرد تذكّر حادثة قديمة او استحضار صورة ذهنية لشيء معروف او التأمل في امر يتعمناه الانسان ويشتميه او يشعر نحوه شعوراً خاصاً او تدبّر مستقبله وكيف يحو ان يكون من غير ادنى تفریق بين ما هو حاضر امامه بدركه بحواسه وما هو غائب عنه يرفقه بصورته او ذكراه . فأصبح المعنى الدارج يتضمن كل سائحة شاردة وكل ذكرى نافذة . وكل حلم من احلام النهار والليظة . وكل ما يترى في الدهن من حلقات متناثرة متناثرة غير منسجمة ولا متصلة ليست عن التفكير الصحيح في شيء .

وخطأ رجال التربية وعلم النفس خطوة صغيرة فأطلقوه من ناحية اخرى على الفكرة التي تحطّر في الدهن عن شيء او شخص لا يكون موجوداً ولا يدركه العقل عن طريق الحس كالذكريات والصور والخيالات - ونحو بعضهم نحو قدماء علماء النفس في الغرب فأعتبروا التفكير مرادفاً لمراتب الادراك المختلفة من ادراك المحسوسات الى العلاقات بين المواقف المحسوسة الى الاستقراء والملاحظة والتجريد والتعميم والقياس الى التعليل في حين ان لكل من هذه العمليات العقلية شخصيتها التي تحتفظها وان اندمجت معاً في المواقف العقلية المعقدة . وسيجد القارئ من هذه المقتطفات أنهم الى جانب هذا اطلقوا الفكر (او التفكير) على هذه العمليات التي لا تمت للتفكير بصلة كالتحصيل والحفظ والاستظهار والانتباه والتصور والارادة . وهذه الامور التي تتصل

بالتفكير اتصالاً وثيقاً ولكنها ليست منه كالمفهم وادراك المعنى والعلاقات وادراك الكليات

١ - يقول المرحوم الشيخ شريف (ص ٣٥) الفكر هو قوة للنفس تتسكن بها مع استخدام العقل من الحصول على المعارف وحفظها واستحضارها (وهذا يقصد به الذكرة . وغريب جداً ان يفرق بين العقل والفكر)

٢ - ويقول الجارم (ص ٩٧) توجيه النفس وحصر « التفكير » في الحادث (وفي ص ٩٨) الانتباه توجيه « الفكر » وحصره فيما يمرض عليه من الاشياء (فهو في الاول يقصد الانتباه وفي الثانية الشعور حجة)

٣ - ويقول قندين (ص ٧٥) عند المقارنة بالتخييل : التفكير هو تكوين رأي في الصورة . فهو يشمل الصورة وما تدل عليه من حيث معانها وقيمها (وأتهم من هذا انه يقصد التصور ولكنني لست افهم معنى الحكم على الصورة الا اذا قصد بها المشكلة او الموقف الذي يفكر فيه الانسان وهذا ليس صورة . لأن الصورة الذهنية لا تتطلب حكماً)

٤ - ويقول الجارم (ص ١٠٧) وهو يمثل لضعف الارادة : كأن يظل الحفص مشقت الفكر (ومعنى التفكير هنا غير واضح على الاطلاق وكذلك العلاقة بين الفكر والارادة)

٥ - ويقول الشيخ شريف (ص ٩) - حركة النفس في فهم حقائق الاشياء وانها تسمى فكراً (وهذا يتصن المعنى الصحيح للتفكير لولا انه استخدم كلمة الفكر بدون توضيح)

وفي (ص ٧٣) : أثر اتقوة الفكرية في تدبر المعاني (ومعنى تدبر هنا غير واضح على الاطلاق) وزاد الامر تعقيداً بقوله (ص ٧٧) اسناد الاشياء بعضها لبعض يسمى حكماً أو تعقل أو تفكيراً أو تصرفاً أو

٦ - ويقول قندين (ص ١٥٨) التفكير هو موازنة شيء بغيره لادراك ما بينهما من علاقات قريبة او بعيدة . او ادراك ما بين الاشياء بعضها وبعض من اوجه الشبه (وقصر التفكير على خطوة واحدة من خطواته وهي ادراك العلاقات والافتقار في العلاقات المدركة على مجرد الشبه والتشابه بعض كبير)

٧ - وحدد (في ص ١٥٨) انه عملية ادراك الكلي نفسها وهذا محدد غريب في ذاته لان ادراك الكلي هو مجرد خطوة من خطوات التفكير وليس التفكير كله

اما التعليل Reasoning وهو نوع من انواع التفكير يقصد به البحث عن علة الاشياء او اسباب المواقف فلم يحددها واحد منهم غير ولسف بك فقد ترجمها في قاموسه بالقياس التكرري او النظر

ولكنه قصر التعليل بهذه الترجمة على انقياس واخرج الاستقراء الذي هو خطوة هامة من خطوات التعليل . فهل يستطيع القارئ الذي لم ينل قسطاً كبيراً من دراسة علم النفس الحديث في المراجع

الغربية بلعاًها الاجنبية ان يعرف بالتحديد معنى التفكير والنوارق الجوهرية بين هذه العملية الهامة وغيرها من العمليات العقلية

ولكننا مع هذا نلتزم العذر انترلقين والمترجمين . فقد وقع علماء الغرب الذين نقلوا

صهم في نفس هذا الخطأ حتى ادرك المحدثون ان التفكير الصحيح لا يتم فيه ان تتوالى الوحدات بعضها وراء بعض وتتعاقب وترتبط بمجرد ارتباط حسي . بل لا بد لها ان ترتبط ارتباطاً محكماً بحيث تستند كل خطوة ان سابقتها . وتحدد التي تأتي بعدها فتكون حلقة متصلة في سلسلة الافكار . وكذلك لا يكون مجرد التأمل في شيء غير حاضر للحس تفكيراً . فقد يتخيل المرء حادثه منسجمة الاتصال . مترابطة الاجزاء كما يفعل التصديرون والروائيون من غير قصد اثبات شيء او نفيه او الاعتقاد في حقائق او نظريات او التصرف في موقف « عن طريق ايجاد العلاقات الصحيحة بين اجزائه حتى نستطيع الحكم عليه جملة في حدود هذه العلاقات التي يصبح الموقف بدونها عديم المعنى »^(١) **التفكير بمعناه الحديث** - التي حددها الفيلسوف الامريكى جون ديبرى وعنه اخذت المدارس الحديثة - « هو العملية العقلية التي يقوم بها العقل عند شعوره بأنه يواجه موقفاً معقداً غير مأثور لديه او مشكلة جديدة تتطلب منه ان يتصرف تصرفاً خاصاً مقيداً بالظروف والعلاقات القائمة فعلاً - او التي يستنبطها العقل - بين اجزاء هذا الموقف . او بين هذا الموقف وموقف آخر يتصل به او بآلته »^(٢) . وبعبارة اخرى « هو عملية عقلية يكيف بها الانسان نفسه حتى يتصرف في الموقف الذي يجده له ويشعر المفكر ذاته بهذه الملازمة ولو كان الموقف حسيّاً محتماً »

الاصل في التفكير اذن وجود مشكلة متشعبة الاطراف لها حل واحد او جملة^(٣) حلول يجدها العقل او يفضل واحداً منها على البقية - او حالة ارتباك وشك تدفع العقل الى محاولة ايجاد مخرج منها او الوصول الى نظرية او رأي او مشروع يحل به عن طريق البحث وكشف الحقائق التي تساعد على الوصول الى الحل وعلى وجه العموم لا يصح لنا ان نسمي العملية العقلية تفكيراً الا اذا تضمنت العناصر الآتية :
(١) - الشعور بضرورة التصرف في المشكلة القائمة (٢) - تقدير القيمة النسبية للموقف واجزائه وادراك ما بينهما من علاقات وتعليل الموقف لاستخلاص نتيجة معينة (٣) - الحكم على الموقف او الموضوع بالسحة او البطلان

وفي ضوء هذا الرأي يصح ان نعتبر ان التفكير يتم في كل مستويات الادراك وليس هو بقاصر على مستوى ادراك الكليات كما كان يقول علماء علماء النفس والمنطق . ففي مرتبة الادراك الحسي يكون موضوع التفكير خاصاً محدوداً مميزاً وفي الادراك الكلي يكون معقداً متاولاً لمجموعات كاملة او كليات مجردة عن الحس وهو كذلك يتضمن كل عمليات المقابلة وفرض الفروض والتجربة والتعليل والحكم التي كانت ولا تزال تعتبر في المنطق عمليات قائمة بذاتها **فاطلاق ترجمة التفكير على الاحساس والتذكر والتصور والتخيال خروج عن الموضوع** - وعلى مجرد ادراك العلاقات او اشكلي او الحكم والتمايل تقبيد غل لا معنى له - وعلى اتهم والتأمل توسع غير مقبول . ومن شاء المزيد فليقرأ كتابي في الادراك والتفكير « علم النفس النظري والتعليلي »